الرافضة من السياسي إلى العنصري

الدلالة ـ التاريخ ـ الموقف

لم يكن هذا المصطلح جديداً في لغة التنابز المذهبي أو التوصيف السياسي، حيث إن استخدامه يعود إلى العهود الإسلامية الأولى وتجاذباتها السياسية ـ الدينية والمذهبية، والتي كانت تُوظَف فيها العديد من الأدوات، بما فيها الأدوات الإصطلاحية وغيرها في توصيف الآخر أو وصمه، وترتيب العديد من الآثار والأحكام على هذا الوصم وتوظيفه.

سوى أنَّ الحاصل اليوم هو إعادة نبش لهذا المصطلح من قبور التاريخ ومدافنه، بما يشي بالعقلية التي تتحكم اليوم في العديد من مواقع التوجيه الثقافي، والتأثير الديني، ومنابر الإعلام المتنوعة. وهو ما يضع الجميع أمام مسؤولياتهم لمعرفة أي مستقبل ينتظر هذه الأمة والمجتمعات الإسلامية والعربية، إن ترك لهذه العقلية والخطاب الذي تفرزه، المجال لفرض ثقافتها وخطابها والرؤية التي تحمل، على مستوى نظرتها للآخر والواقع والمستقبل.

من هنا ينبغي أن نبحث في المعنى اللغوي لهذا المصطلح، وتطوره التاريخي، وعملية التوظيف التي كرّس لأجلها، وخلفية هذا التوظيف وآثاره والمنحى الذي أخذه لاحقاً، وموقف أئمة أهل البيت (ع) منه، وصولاً إلى محاولة إحيائه من جديد لتحقيق الأهداف المقصودة منه، والمخاطر التي تترتب على بعثه من بين الركام، بعد أن أصبحت العظام منه كالرميم.

1. **<u>المعنى اللغوي والإصطلاحي:</u>** يُفسر الرفض لغوياً بمعنى الترك، حيث جاء في كتاب العين للخليل : " الرفض تركك الشيء.. والروافض جند تركوا قائدهم وانصرفوا، كل طائفة منهم رافضة، وهم قوم لهم رأي وجدال يسمون الروافض"[1].

وذكر ابن منظور في لسان العرب :" الرفض تركك الشيء، تقول

1- قم، مؤسسة النشر الإسلامي،1414 هـ ق ، ط 1 ، ص 320 .

رفضني فرفضته، رفضت الشيء أرفُضه وأرفِضه رفْضاً ورفَضاً، تركته وفرّقته... والرفض الشيء المتفرق، والجمع أرفاض"[1].

ويبدو أن المعنى الإصطلاحي للرافضة هو أقرب ما يكون إلى مصطلح "المعارضة" في زماننا المعاصر، ويدل على ذلك أنَّ ممارسة المعارضة يستلزم أن يترك المعارض الطرف المعارَض ، ويفترق عنه في المورد الذي يختلف فيه معه، فهو بذلك يمارس الرفض لما يتبناه الطرف الآخر، ولذلك يطلق على الجماعة التي تمارس المعارضة الرافضة أو الروافض.

وهو بذلك مصطلح عام لكل من مارس أو يمارس فعل المعارضة في أي جانب من مجالاتها، وإن أصبح يطلق فيما بعد من قبل البعض (سيوضح لاحقاً) على طائفة إسلامية بعينها (المسلمون الشيعة أو بعض طوائفهم)[2]، وقد يكون من الأسباب أن موقعهم في مجمل التاريخ الإسلامي، وبما فيه العهود الإسلامية الأولى، كان موقع المعارضة للسلطة السياسية والحكومات المتوالية.

2. **<u>تاريخ المصطلح إسلامياً:</u>** بناءً على الدلالة الإصطلاحية للرافضة وانها تعني فعل المعارضة، نلاحظ أن استخدام هذا المصطلح كان متداولاً في العهد الإسلامي الأول، حيث رافق استخدامه الإنقسام السياسي وغير السياسي الذي شهده الإجتماع الإسلامي تاريخياً، إذ لم يكن آنذاك يطلق على طائفة إسلامية بعينها، ولم يكن بعد قد تقمص مذهبياً حتى ذلك الحين.

1- نشر أدب الحوزة، 1405 هـ ، مج7، ص 156.

2- يوجد اختلاف بين مجمل المصادر ذات العلاقة فيما يرتبط باسم الرافضة وذلك في عدّة موارد:

1- في سبب التسمية (لرفض الشيخين، أو لرفض زيد والجهاد معه، أو لرفض المغيرة بن سعيد الذي قال بإمامة محمد بن عبدالله بن الحسن...) وستجد لاحقاً أن روايات أهل البيت (ع) تجعل متعلق الرفض أمراً آخر، أي رفض الشر والباطل أو رفض فرعون...

يعرض ابن جرير الطبري لسبب التسمية فيذكر رواية عن الإمام علي (ع) عن رسول الله (ص) أنه لما أسري به إلى السملء رأى قصوراً يصفها ويصف ما فيها، فيسأل عنها جبرائيل، فيجيبه : هي لشيعة أخيك علي بن أبي طالب (ع) وخليفتك من بعدك على أمتك وهم يُدعون في آخر الزمان باسم يراد به غيرهم، الرافضة، وانما هو زين لهم، لأنهم رفضوا الباطل وتمسكوا بالحق. (أنوار المعجزات، مؤسسة الإمام المهدي (عج)، قم، 1410 هـ ق، ط1، ص11).

2- في من اطلقها (أصحاب زيد، زيد نفسه، المغيرة بن سعيد...)

3- في من يراد بها، وهنا يمكن تصنيف آراء الذين تبنوا هذه التسمية إلى فئات ثلاث:

1- هناك من يطلقه على جميع محبي أهل البيت (ع)، شيعياً كان أم غير شيعي.

2- وهناك من يطلقه على عموم شيعة أهل البيت (ع)، من كان منهم إمامياً اثنا عشرياً، أم غير اثني عشري.

3- وفئة تطلق التسمية على خصوص الشيعة الإثني عشرية من شيعة أهل البيت(ع)، أي التي تعتقد بإثني عشر وصياً بعد رسول الله (ص)؛ وهي الأكثر رواجاً.

وأنت تلاحظ - عزيزي القارئ - أن القاسم المشترك بين الفئات الثلاث هو أهل بيت رسول الله (ص)، فتدبر جيداً وتأمل!

ولذلك نجد أن معاوية بن أبي سفيان يطلق على بعض من أهل البصرة تعبير الرافضة، وذلك لمعارضتهم الإمام علي بن أبي طالب (ع)، ويكتب إلى عمرو بن العاص :" ...إنه كان من أمر علي وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان في رافضة أهل البصرة.."[1]، حيث نجد أن تعبير الرافضة، قد اطلق على خصوم أبرز أئمة أهل البيت (ع) لمعارضتهم إياه.

ولذلك ليس صحيحاً القول إنه كان خاصاً في المراحل الأولى من التاريخ الإسلامي بفئة دون أُخرى، كما ليس صحيحاً القول إنه يعود إلى مرحلة تاريخية متأخرة عن ذلك، حيث يرجعه البعض إلى زمن خروج زيد بن علي وثورته، ويربطه بالموقف من أبي بكر وعمر،عندما ترحم زيد عليهما، مما أدى إلى أن يرفضه قوم ".. فقال لهم رفضتموني. فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيدياً لانتسابهم إليه"[2]؛ إذ إن هذا النص يُرجع الرفض إلى معارضة قوم لزيد بن علي، فيما يرتبط بموقفه من أبي بكر وعمر، في حين أن هذا المصطلح كان متداولاً قبل ذلك[3]، ولم يكن محصوراً بطائفة دون أخرى، كما أن النص لم يذكر لنا من الذي سمى أولئك القوم بالرافضة، فضلاً عن أنه يجعل معيار التسمية بالرافضة من عدمها الموقف من قضية زيد بن علي، في حين أنه أوسع من ذلك، بما يشمل الموقف من السلطة السياسية وغيرها.[4]

1- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، ج 2، ص 184.

2- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، مؤسسة قرطبة، 1406 هـ، ط1، ج 1، ص 35.

3- توجد نصوص تؤكد أن استعمال هذا المصطلح كان متداولاً قبل ثورة زيد بن علي بسنوات، وإنه كان يُطلق على شيعة أهل البيت (ع) قبل ثورة زيد بوقت ليس بقصير، فقد ذُكِر هذا المصطلح على لسان الإمام محمد الباقر (ع)، والذي توفي قبل ثورة زيد بثماني سنوات، أي في سنة 114 هـ ق، في حين أنّ ثورة زيد حصلت سنة 122 هـ ق. حيث قال له أحد أصحابه :" إنَّ فلاناً سمانا بإسم، قال : وما ذاك الإسم؟ قال سمانا الرافضة. فقال الإمام – مشيراً بيده إلى صدره - : وأنا من الرافضة وهو مني، قالها ثلاثاً". (البرقي، المحاسن، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1370 هـ ق، ج 1، ص 157م).

4- تجد العديد من المصادر والمراجع تقدم تفسيراً مشوهاً وغير صحيح لمعنى الرفض وحقيقته. فتقدمه على أنه سب وشتم للشيخين أبي بكر وعمر، أو طعن في الصحابة وسوى ذلك؛ في حين أنّ تفسير الرفض بالسباب والشتائم يُجافي الحقيقة، ولا يرتقي إلى المعالجات العلمية والموضوعية للقضايا الخلافية بين مختلف الأديان أو المذاهب الإسلامية. وإن النظر إلى حقيقة الرفض من زاوية الصحابة والطعن فيهم، ينطوي على الكثير من تقزيم الحقائق واجتزائها.

يتبع

بل نحن نعتقد أن صناعة المصطلح مشحوناً بتلك الدلالات العنصرية والمذهبية، ليست بعيدة عن سياسات السلطة الأموية، في استهداف المعارضة وتحديداً الشيعية منها، وممارسة شتى الوان الإرهاب والإقصاء بحقها.

ولذلك أمكن القول: إنه لما كان الموقع السياسي للمسلمين الشيعة على الغالب، موقع المعارض للسلطة السياسية، التي كانت قائمة في العهود الإسلامية المختلفة وخصوصاً في العهد الأموي، فقد أصبح يُطلق على هذه الطائفة من قِبل السلطة الأموية وفقهاء البلاط لديها الروافض أو الرافضة، أي المعارضون أو المعارضة، وهو وإن كان أصل هذه التسمية (المصطلح) لا يحمل دلالة أكثر مما ذكرنا – أي المعارضة – لكن يوماً بعد يوم أخذت السلطة الأموية، تعمل على تقبيح هذا المصطلح وشيطنته، وذلك من خلال اتخاذ إجراءات قاسية، وإصدار أحكام ذات طابع عنصري إلغائي، بحق تلك الفئة التي كانت تقف في موقع المعارضة للسلطة وسياساتها آنذاك، وبشكل أساس المسلمون الشيعة.

والنتيجة تحول هذا المصطلح - الرافضة - إلى وصمة ذات طابع ديني سياسي إجتماعي، عندما استخدمت تلك السلطة جيشاً من فقهاء البلاط، ووعاظ السلاطين، ممن باع دينه وتاجر السلطان علمه، فابدع أحاديث مكذوبة، وأحدث فتاوى مدسوسة، بثمنٍ بخسٍ ما زال يجنيه إلى عصرنا الحالي، إيغالاً في دماء المسلمين، وقتلاً لأطفالهم، وتفجيراً لمساجدهم، وتدميراً لأسواقهم، وإفساداً في الأرض ما بين مغربيها.

لقد أدت سياسات السلطة إلى انتاج اصطلاح عنصري، إقصائي، إلغائي، يمارس بحق طائفة من المسلمين، لتبرير كل الأعمال العنصرية أو الإجرامية أوالمتطرفة بحقها، من قتل أو اضطهاد أو إقصاء إجتماعي، أو إرهاب فكري، أو نفسي، أو سوى ذلك (سنشير لاحقاً).

تابع ⟹

صحيح أنّه يوجد اختلاف فكري حول مواضيع مختلفة، لكن الصحيح أيضاً أن يمارس هذا الإختلاف من خلال أدب القرآن الكريم ومفاهيمه، في إدارة الإختلاف وثقافته، بعيداً عن الايغال في المذهبية و العصبية، أو ممارسة الإرهاب الديني والمذهبي؛ والعمل على إبقاء هذه الإختلافات ضمن حدودها الفكرية، وعدم اتخاذها ذريعة للتعصب المذهبي، أو ممارسة أي اضطهاد ديني، أو الانجرار إلى أي سلوك عنصري.

بل يمكن القول إن هذا المصطلح بعد أن أصبح متخماً بكل تلك الدلالات السلبية التي حشتها فيه السلطة الحاكمة آنذاك، واستكمالاً لمشروعها في استهداف الرسول (ص) وأهل بيته وعلاقة الأمة بهم، أصبح يستخدم من قِبل البعض لوصم حتى من ينظر بعين الحب إلى أهل بيت رسول الله (ص)، ويعبر عن حبه للأئمة من ذريته، فكان يُوْصم بكونه رافضي.

3. **توظيف المصطلح؛ الأحكام والآثار:** إن العمل على شيطنة المصطلح وتشنيعه، كان الهدف منه شيطنة من يعنيهم هذا المصطلح بدلالته المستجدة والتشنيع عليهم، تمهيداً لضربهم واسقاطهم. هذه هي السياسة التي اتبعتها السلطة الأموية، واشترت من أجل تحقيقها ذمم العديد من الفقهاء بالدرهم والدنيار، فسطروا الفتاوى بثمن ما زالت أسواقه تطرق دماً، وقتلاً وإجراماً.

لقد كان هذا المصطلح يُوظَف لضرب تلك الفئة من المسلمين، التي كانت تعارض السلطة الأموية، والعمل على اسقاطها والقضاء عليها، وممارسة كافة أنواع الظلم والإجرام بحقها، وتجريدها من كافة حقوقها الدينية والمدنية. فمن كان رافضياً لا تُقبل له شهادة في القضاء، ومن كان رافضياً لا تقبل روايته، ومن كان رافضياً تستباح امواله، ويصبح عرضةً لكل انواع الإضطهاد والظلم الذي يمارس بحقه.

إن من يعاين مجمل النصوص ذات العلاقة، يجد عدة مستويات ومجالات لعملية التوظيف تلك.

فمنها ما يرتبط بالجانب القضائي والحقوقي، وهو ما يتجلى في عدم قبول شهادة من يتهم بالرفض، بما يعنيه ذلك من تعطيل لقدرات الدفاع القضائية لديه وافقاده الشعور بالأمن الاجتماعي والحقوقي، والتمهيد لاستباحة حقوقه وممتلكاته... وتصنيفه خارج دائرة الجماعة والاجتماع العام، بهدف عزله ومحاصرته واضطهاده على أكثر من مستوى، وفي أكثر من مجال، عندما تقبل الشهادة بحقه ولا تقبل شهادته.

ومنها ما يرتبط بالجانب العلمي والفكري. وهو ما يتجلى من خلال عدم القبول بروايته. أي إن من يُتهم بالرفض، لا يمكن أن يُعتمد عليه في صناعة

التراث الديني وتوثيقه، ولا يمكن أن يكون مورداً لممارسة التوجيه الفكري او التثقيف المجتمعي، ولا ان يكون مصدراً يعتمد لمنح المشروعية الدينية لأية قضية دينية او اجتماعية ترتبط بالشأن العام وغيره.

لقد كان الهدف طمس كل المضامين الفكرية والعلمية التي تحملها مدرسة أهل البيت (ع) ومحاصرتها، وتعطيل أية قدرة لديها على توجيه الأمة، وايصال ما تحمله من علوم رسول الله (ص) إليها، لإخلاء الساحة لثقافة البلاط، وفقهاء السلطان، وفقه الطاعة والركون، وكل ذلك الضخ الثقافي الذي يخدم مصالح السلطة ومشروعها.

ومنها ما يرتبط بالإجتماع العام واجتماع الدولة، حيث إن من يُتهم بالرفض يمارس بحقه الاضطهاد والتمييز الاجتماعي والسياسي والمالي، فيمحى اسمه من ديوان بيت المال ويُسقط عطاؤه ورزقه، ويمارس بحقه الوصم الاجتماعي والتمييز العنصري ويُعاب عليه، ولا يولى في أي من مناصب الدولة، ولا يُتاح له أن يكون في أيٍّ من أعمالها. بل كان هذا الوصم يُتخذ ذريعة إلى ممارسة شتى الوان النبذ والإقصاء، بل مختلف أشكال الإلغاء السياسي منه والإجتماعي.

ومنها ما يرتبط بسياسات السلطة على مستوى ممارسة العنف بكافة اشكاله، وفي مختلف مجالاته وأساليبه بحق المعارضين لها، وتحديداً من يوصم بالرفض منهم، حيث كان يُشرّع بحقه القتل والتنكيل، والاعتداء على الأموال والأنفس والثمرات، وممارسة شتى ألوان التعذيب والظلم والاجرام. دون أن يكون هناك أي رادع أو حاجز يحول دون حصول أي من الانتهاكات واعمال القتل والاجرام، بل والإبادة في بعض الأحيان.

وهذه بعض النصوص التي تبين مدى توظيف المصطلح في هذا الميدان من قبل السلطة آنذاك.

يأتي أحد أصحاب الإمام الباقر (ع) (من أئمة أهل البيت (ع)) شاكياً إليه وطأة ذلك المصطلح، وتوظيفه في ممارسات عنفية من قبل السلطة الاموية آنذاك، والمجالات التي استخدم فيها، فيقول له : " جعلت فداك، اسم سُمينا به،

استحلت به الولاة دماءنا، وأموالنا، وعذابنا، قال (أي الإمام) : وما هو؟ قال (أي الشاكي) الرافضة ...".[1]

وهذا استمر إلى عصر الإمام الصادق (ع)، حيث شكى إليه أحد أصحابه - المعروف بأبي بصير - سوء التوظيف الذي مارسته السلطة آنذاك، مُحملاً المسؤولية لفقهاء السلاطين عما كان يحصل، فيقول له: " إنا قد نُبزنا نبزاً، إنكسرت له ظهورنا، وماتت له أفئدتنا، واستحلت به الولاة دماءنا، في حديث رواه فقهاؤهم هؤلاء.

فقال [الإمام الصادق (ع)] :الرافضة؟

قلت [أبو بصير] : نعم ..."[2]

ومنها ما يرتبط بالجانب الوجداني والعاطفي، حيث وصلت الأمور إلى حد - وبعد أن أصبح هذا المصطلح سلاحاً فعالاً – أن بدأت السلطة الأموية بمختلف أجهزتها، تستخدم هذا المصطلح بوجه جميع محبي أهل البيت (ع)، إستكمالاً لمشروعهم الهادف إلى إسقاط مدرسة أهل بيت رسول الله (ص) ومشروعيتها الدينية والسياسية، في محاولة منها لطمس الموقف العاطفي من قبل أبناء الأمة تجاه أهل بيت رسول الله (ص)، ونزع مكانتهم من قلوب الناس.

لكن قد يَصح القول إن توظيف المصطلح إلى هذا الحد، الذي يشمل جميع محبي أهل بيت رسول الله (ص)، لم يلقَ ذلك الرواج والتأييد الذي يُساعد على توسعة دلالته وسوء استخدامه، لأسباب منها تجذر حب أهل بيت النبي (ص) في قلوب معظم المسلمين وأكثرهم، وعدم رضوخهم لممارسة هذا الإرهاب الإيديولوجي بحقهم، ولربما التفاتهم إلى مديات هذا المشروع وأهدافه.

بل يمكن القول، إنه في الوقت الذي تشهد فيه محاولات التوسعة في دلالة المصطلح وطبيعة توظيفه، على المدى الذي كان يهدف إليه المشروع الأموي في اقتلاع حب آل البيت (ع) من قلوب المسلمين ووجدانهم، فلقد لاقت تلك المحاولات معارضة عامة من كثير من المسلمين. فهذا عبد الملك بن مروان

1-الشيخ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1419 هـ ق، ص171.

2-المفيد، الإختصاص، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1993م، ص 104.

الخليفة الأموي، وعندما يسمع من الفرزدق تلك القصيدة المعروفة في مدح الإمام زين العابدين (ع) يقول له : " أورافضي أيضاً أنت؟ فيجيب الفرزدق : إن كان حب آل محمد رفضاً، فأنا هذاك".[1]

وهذا ما حدا أيضاً بالإمام الشافعي إلى مواجهة هذا الحد، الذي بلغته خطورة توظيف هذا المصطلح، والمدى الذي أريدَ له أن يصل إليه في دلالته ومواجهته لأهل بيت رسول الله (ص)، حيث روي أنه عندما خرج الشافعي من مكة إلى منى، لم يرتقِ شرفاً أو ينزل وادياً، إلّا وأنشد باكياً:

يا راكباً قف بالمحصب من منى وآهتف بساكن خيفها والناهض
سحراً إذا فاض الحجيج من منى فيضاً كملتطم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافضي[2]

ومن أشعار الشافعي في الموضوع نفسه:

إذ كان حب الولي رفضاً فإنني أرفض العباد

وقيل للشافعي أنّ أناساً لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة لأهل البيت (ع)، فإذا رأوا أحداً منا يذكرها، يقولون هذا رافضي، ويشتغلون بكلام آخر، فأنشأ الإمام الشافعي يقول:

إذ في مجلس ذكروا عليا وشبليه وفاطمة الزكية
يقال تجاوزوا يا قوم هذا فهذا من حديث الرافضية
هربت إلى المهيمن من أناس يرون الرفض حب الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي ولعنته لتلك الجاهلية[3]

1-الجلالي السيد محمد رضا، جهاد الإمام السجاد، مؤسسة دار الحديث الثقافية، 1418 هـ، ط 1، ص 216 (عن : المحاسن والمساوي للبيهقي، ص 212 – 213).
2- ابن عبد البر، الإنتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 91.
3- القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، دار الأسوة للطباعة والنشر، 1416 هـ ق، ج 2، ص 373.

وهذا الإمام أحمد بن حنبل، يرفض توظيف هذا المصطلح لمواجهة حب أهل البيت (ع)؛ إذ يذكر الخطيب البغدادي، أنّ عبد الرحمن بن صالح - يذهب يعقوب بن يوسف المطوعي إلى كونه رافضياً - كان يغشى أحمد بن حنبل، فيقربه أحمد ويدنيه. فقيل له: يا أبا عبد الله، عبد الرحمن رافضي. فقال: سبحان الله! رجل أحب قوماً من أهل بيت النبي (ص)، نقول له لا تحبهم ؟![1]

إنّ شواهد كثيرة - مما ذكرنا وغيرها - تظهر أن جوهر الاستهداف في مشروع السلطة هو أهل بيت رسول الله (ص)، على جميع المستويات، وفي مختلف الميادين. وما التعرض لهذه الطائفة من المسلمين أو تلك، إلا من باب كونها شيعة لأهل بيت رسول الله (ص)، لأن المطلوب هو القضاء على كل ما يرتبط بأهل البيت (ع) أو ينتسب إليهم، من قريب أو بعيد.

ومن هنا كان الهدف من شيطنة المصطلح شيطنة من يطلق عليه، بهدف النيل منه وإرهابه، وهو ما جرّ إلى إغراء السلطة وأرباب مشروعها لزمرة من فقهاء السلطان لاختلاق جملة من الفتاوى، وابتداع بعض من الأحاديث التي تبرر تحقيق أهدافها، وتنفيذ سياساتها، بحق المعارضين لها ولظلمها، فكانت جملة من الأحكام والآثار، التي تترتب على من يوصف بكونه رافضياً، وهذه منها:

1. <u>القتل:</u> إنه ومن أجل أن تبرر السلطة لنفسها ممارسة الإجرام والقتل بحق المعارضين لها والمخالفين لسياساتها، كان من الضروري وضع بعض الأحاديث التي تعطي مشروعية دينية، لما كانت تقدم عليه تلك السلطة بحق من يرفض أي فساد أو ظلم تمارسه، فكان الحديث الذي وُضِع على لسان رسول الله (ص) والذي يدعو فيه إلى قتل الرافضة، حيث زعموا أنه قال :" يكون قوم في آخر الزمان، يسمون الرافضة، يرفضون الإسلام ويلفظونه، فاقتلوهم فإنهم

1- السيد محمد الكثيري، السلفية بين أهل السنة والإمامية، الغدير للطباعة والنشر والتوزيع، 1418 هـ - 1997 م، ط1، ص 122 (عن تاريخ بغداد، ج 15، ص 260).

مشركون"[1]. انظر تلك الصورة التي أرادوا إلصاقها بنبي الرحمة محمد (ص)، الذي رحل عن هذه الدنيا، وهو يوصي أمته:" لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض..."[2]، لكن في هذا الحديث المكذوب نسبوا إلى رسول الله انه يأمر بقتل طائفة من أمته!!! وهنا الذي يحدد من هو رافضي أو غير رافضي هو السلطة نفسها!

وفي حديث مكذوب آخر، وهذه المرة نسبوه زوراً وكذباً إلى الإمام علي (ع)، انه روى عن النبي (ص) :" سيأتي قوم من بعدي لهم نبز، يقال لهم الرافضة، فإن أدركتهم فاقتلهم، فإنهم مشركون. قال(اي الإمام علي (ع)): قلت يا رسول الله، ما العلامة فيهم؟ قال (اي الرسول (ص)) : يقرظونك بما ليس فيك، ويطعنون على السلف"[3]. في هذا الحديث توجد إضافة، تجعل من الاسهل للسلطة اسقاطه على شيعة الامام علي (ع) وتوظيفه للنيل منهم[4].

وبالتالي منحت الفتوى، وأُعطي الضوء الأخضر لتلك السلطة، لتمارس جميع ألوان الإجرام والإفساد بحق المعارضين لها، لأنه إذا كان القتل مُباحاً لها، فإن ما دونه من إجراءات، سوف يكون مباحاً أيضاً. بالنسبة إلى السلطة وفقائها، الرافضة هم أولئك المسلمون الذين أطاعوا رسول الله (ص) في أهل بيته (ع)، فاتبعوهم وأحبوهم، وشربوا المر في حبهم، لقد كان ممنوعاً من قبل السلطة أن تتبع أهل بيت النبي (ع)، وكان مرفوضاً أن تنظر بعين المودة إلى قربى رسول الله (ص)، ولذلك كان يُقتل حتى من يُتهم أنه من أتباع أهل البيت (ع)، أو من يظهر من فعله وكلامه أنه يحبهم ويطيع كلام الله تعالى فيهم، كل هذا وهم يقرأون قول الله عز وجل: " قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في

1- ابن قتيبة الدينوري، تأويل مختلف الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ص77.
2- الأميني، الغدير، دار الكتاب العربي، بيروت، 1977م، ج1، ص 329.
3- أحمد بن حجر الهيتمي، الصواعق الحرقة..، شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، 1965م، ص 5.
4- ما تلحظه في هذا الأحاديث ومضمونها أنهم سطروها بألسنة شتى، القاسم المشترك بينها هو تحديد المستهدف منها وهو الرافضة، والهدف الذي يراد منها وهو إصدار الفتوى بالقتل.
وهم ينسبون بعضها إلى علي (ع)، وآخر إلى فاطمة (ع) وآخر إلى أم سلمة... وهل يمكن أن يتصور منصف أنّ رسول الله يأمر بقتل من أطاع كلامه في أهل بيته فأحبهم ولزمهم، أو أنّ علياً (ع) يحدث بقتل شيعته ومواليه! أو أنّ فاطمة (ع) تحدث بقتل شيعتها ومحبيها!

القربى"[1] أي يا محمد قل لأُمتك: لا أريد أجراً على رسالتي، إلا أمراً واحداً، وهو محبة أهل بيتي، فمحبتهم أجر الرسالة، وطاعة الله تعالى، ووفاء لرسوله (ص)؛ لكن في قاموس السلطة ودستورها، هذا الأمر كان محظوراً، ويُعاقب عليه بالقتل والاجرام.

لقد أمعنت السلطة في إظهار الحقد والعداء لأهل بيت رسول الله (ص)، إلى درجة أنها لاقت معارضة حتى من أئمة المذاهب السنية، كالشافعي وأحمد ابن حنبل وسواهم، ممن لم يرضَ بهذا الحد من التوظيف لذاك المشروع ومراميه، والأهداف البعيدة التي كان يسعى إليها.

2. عدم قبول شهادته: إن من الإجراءات التي اتخذتها السلطة للتضييق على شيعة أهل البيت (ع)، وحرمانهم من حقوقهم، عدم قبول شهادة أي منهم، من خلال توظيف تهمة الرفض، لتجريد كل من يوجّه إليه إصبع الرفض من حقه في أن يكون له شخصيته القانونية، وممارسة هذا الحق في الشهادة في أي مورد، يتطلب منه أن يكون شاهداً في المنازعات القضائية وسوى ذلك.

أي إن من لم يكن على دين السلطة، ويذعن لثقافتها، ويسلم بسياساتها، فليس بمواطن، ويُحرم من حقوقه، ويُجرد من شخصيته القانونية، وحقه في ممارستها في الدفاع عن نفسه وسوى ذلك.

يعرض ابن ابي الحديد المعتزلي في كتابه شرح نهج البلاغة لهذه القضية، فيقول: " كتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق، ان لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة..."[2]

هذه السنّة التي قامت على التشفي من الإمام علي (ع) وأهل بيته (ع) وشيعته، استمرت لاحقاً، وتحولت إلى سنة تعتمدها السلطة بحق من يتهم بالرفض ويرمى به، فهذا عمار الدهني بعد أن يشهد شهادة عند أبي ليلى

وبعضها يذكرون في متنه أنهم: قوم من بعدي، وآخر: قوم في آخر الزمان، وغيره: قوم من أمتي، فضلاً عن اختلافات أخرى عديدة في متنها والتعابير الواردة فيها.

وبعضها يكتفي بتعبير الرافضة، وبعضها يذهب أبعد من ذلك في اسقاطه على شيعة أهل البيت (ع) وإلباسه لهم، فيضيف سماتٍ للرافضة منها: حب أهل البيت (ع)، أو ممن يحب علياً... وبعضها يفصح صراحة عن مكنون قصده، فيقول إنهم قوم من شيعة علي (ع)، وبعضها يضيف قيوداً أخرى؛ حتى ليدرك أقل لبيب، أنها فصلت على مقاس شيعة أهل البيت (ع)، لتوظف ضدهم دون سواهم.

لكن ما يريح المرء أنّ أمهات الكتب الست، أي مصادر الحديث الأساسية لدى اهل السنة، تخلو من هذه الأحاديث وألسنتها (أنظر محمد بن عقيل العلوي، تقوية الإيمان، دار البيان العربي، بيروت، ط1، ص 53).

1- القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية 23

2- دار إحياء الكتب العربية، 1961م، ج 11، ص 44.

قاضي الكوفة، يقول له: " قم يا عمار، فقد عرفناك، لا تقبل شهادتك، لأنك رافضي؛ فقام عمار وقد ارتعدت فرائصه، واستفرغه البكاء، فقال له ابن ابي ليلى : انت رجل من أهل العلم والحديث، إن كان يسؤوك أن نقول لك رافضي فتبرأ من الرفض، فأنت من إخواننا؛ فقال له عمار: يا هذا ما ذهبت والله إلى حيث ذهبت. ولكني بكيت عليك وعلي. أما بكائي على نفسي، فإنك نسبتني إلى رتبة شريفة لست من أهلها... وأما بكائي عليك، فلعظم ذنبك في تسميتي بغير اسمي، وشفقتي الشديدة عليك من عذاب الله، أن صرفت أشرف الأسماء إليّ..."[1]

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنّ الإمام الصادق (ع)، وعندما يعلم بما قاله عمار، فإنه يبادر إلى القول:" لو أنّ على عمار من الذنوب ما هو أعظم من السموات والأرضين، لمحيت عنه بهذه الكلمات"[2].

لقد وضعت السلطة كل من يعارضها، او يختلف معها بين حدين: إما أن تكون على شاكلتها، وتقبل باستلاب فكرك وعقلك ورأيك وقرارك...، أو أن تصبح لا شيء في قانون السلطة وقاموسها، فتجرد من حقوقك، ولا تبقى إمكانية لممارسة حقك القانوني في الشهادة. ولقد كان هذا بمثابة المقدمة لاستباحة الدماء والأموال... عندما لا يبقى لهذه الفئة التي لا تنتمي إلى ثقافة السلطة، ولا تذعن لمشروعها، أية قدرة (قضائية) للدفاع أمام أي اعتداء عليها في نفسها او مالها. وكان بمثابة إجراء للحط من قدرها، والعمل على استصغارها واستضعافها، عندما تقبل شهادة أي كان عليها، ولا تقبل شهادتها عليه.

إنه يمكن لأي كان، أن يتهم أو يدعي على أي من أولئك الذين يوسمون بالرافضة، في مال أو سوى ذلك، حتى تكون النتيجة لصالحه قضائياً، لأنه لن يستطيع من سمي بالرافضة أن يُدافع عن حقوقه، ولا أن يحمي نفسه وأمواله.
هي إستباحة قضائية، تنطوي على استباحة شاملة، وعلى الدعوة إلى إستباحة دماء من يوصمون بالرافضة وأموالهم وحقوقهم..لأنه في دين السلطة وقاموسها، أن كل من لم يكن شبيهاً لها وعلى شاكلتها، أو يمشي في ركابها؛ ينبغي أن يكون صفراً وعدماً، وتُسلب منه كل حقوقه، وتُستباح منه أمواله وتُحلل دماؤه؛ وللأسف هذا الذي حصل في التاريخ.

1- الشيخ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، م س، ج 4، ص 171.
2- م س.

3. عدم قبول روايته [1]: وهو من سياسات ذلك المشروع (مشروع السلطة) وأهدافه، في إلغاء أي دور علمي - ديني لمدرسة أهل البيت (ع) ومحاصرتها، ومحاصرة كل ذلك النتاج العلمي والثقافي لأئمة أهل البيت (ع)، وأي دور لهم في بناء الثقافة الدينية والمجتمعية للأمة الإسلامية، ومختلف المجتمعات التي تنضوي فيها.

لقد رأت السلطة في المحتوى العلمي والفكري لمدرسة أهل البيت (ع) خطراً على مصالحها، ونقضاً لكل ذلك النتاج الثقافي والديني الذي يخدم مصالح السلطان واستبداده واستعلائه؛ فكان المطلوب القضاء على أي رأي أو فكر لا ينسجم مع رأي السلطان ويخدم مصالحه، ولذلك لم يعد مقبولاً الأخذ بأية رواية
لا تصدر من جهاز السلطة وفقهائها، أو تتناقض مع مصالحها وثقافة الاستلاب والتبعية لديها.

بل وتعبيراً عن ذلك المشروع الأموي في الثأر من رسول الله (ص) وأهل بيته (ع) والإنتقام منهم ، كان ذلك الإجراء، وتلك السياسة، للقضاء على المكانة العلمية والدينية لأهل بيت رسول الله (ص) وأئمتهم (ع)، فمنع التحديث بأي فضيلة لهم، أو رواية مناقبهم، أو التصريح بأي نص يستشم منه مدحهم، والإعلاء من مكانتهم.

لقد شنت السلطة حرباً شعواء على المشروعية الدينية والعلمية لأئمة أهل البيت (ع)، ودورهم في توجيه الأمة وتعليمها وتربيتها، ومدها بجميع العناصر الفكرية والثقافية، التي تنسجم مع ما جاء به محمد بن عبدالله (ص)، ونطقت به رسالته، والصحيح من بيانها، بما هم أبواب مدينة العلم والراسخون فيه، ومن لديهم علم الكتاب والمؤتمنون عليه، والعارفون به وبتأويله، ومن لديهم ما يحتاجه الناس من علم الكتاب وصحيح السنة.

إنه لا تقبل رواية أصحاب أئمة أهل البيت (ع) وأتباعهم وتلامذتهم، ليكون ذلك بمثابة حَجْر علمي- ديني على علوم أهل بيت رسول الله (ص) وتعاليمهم، لصرف الأمة عنهم وعن علومهم، التي تتضمن الصحيح من تأويل كتاب الله وسنة رسوله.

1- لا نحتاج إلى ذكر الشواهد على هذا الموضوع، إذ تكفي أية مراجعة لجملة من كتب التراجم وغيرها، لتجد هذا المضمون فاشياً فيها، بأنّه رافضي تُردّ روايته، أو لأنه رُمي بالتشيع، أو نحوها من التعابير.

وهو ما أدى إلى حرمان الأمة في مجمل مذاهبها، وأكثر تراثها، قديماً وحديثاً، من مجمل علوم أئمة أهل البيت (ع)، حتى أن أكثر من مصنف لكتب الحديث الأساسية، كان يكثر الرواية عمن وقع النقاش في صحة العديد من رواياته، ومدى إمكانية الأخذ منه، في حين أنه كان يمتنع عن تدوين أية رواية صادرة عن كبارأئمة أهل بيت رسول الله (ص)، في مصنفه الحديثي هذا أو ذاك![1]

أليس العجب كل العجب أن يؤخذ الحديث ممن عرف بإشهار العداء والبغض لأهل بيت رسول الله (ص)، ولا يؤخذ من كبار أئمة أهل البيت (ع) ممن عرف بغزير العلم وبذله، إلى درجة أن بعض أئمة المذاهب الأربعة تتلمذ على يديه، وقال فيه ما قال، من قبيل " لولا السنتان لهلك النعمان[2] وغيره.

وهو ما أدى إيضاً إلى ترك الميدان لفقهاء السلطان وثقافة السلطة، فأوغلت وضعاً ودساً وتحريفاً، وإختلاقاً للأحاديث والروايات، التي تخدم مصالحها، وتساعد على تحقيق مشروعها، وتنفيذ سياساتها، في تعظيم شأنها، وإضفاء المشروعية على من تنتسب إليه أو ينتسب إليها، وفي المقابل النيل من خصومها ومن يعارضها ويرفض سياساتها، تحت عنوان الرفض والرافضة.

---

1 - يعرض الإمام السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه "الإجتهاد في مقابل النص" لهذه القضية، ويذكر بكل مرارة كيف يتم الاعراض عن مدرسة أهل البيت (ع) وعلومهم، من قبل الكثير من المسلمين وعلمائهم ورواتهم، فيقول : "...فلم يعنوا بأقوالهم في أصول الدين وفروعه بالمرة، ولم يرجعوا اليهم في تفسير القرآن العزيز – وهو شقيقهم – الا دون ما يرجعون الى مقاتل بن سليمان المجسم المرجئ الدجال، ولم يحتجوا بحديثهم الا دون ما يحتجون بالخوارج والمشبّهة والمرجئة والقدرية، وأنكى من هذا كله، عدم احتجاج البخاري في صحيحه بأئمة اهل البيت النبوي، إذ لم يرو شيئاً عن الصادق، والكاظم، والرضا، والجواد، والزكي العسكري – وكان معاصراً له – ولا روي عن الحسن بن الحسن، ولا عن زيد بن علي بن الحسين، ولا عن يحي بن زيد، ولا عن النفس الزكية محمد بن عبدالله الكامل بن الحسن الرضا بن الحسن السبط، ولا عن أخيه ابراهيم بن عبدالله، ولا عن الحسين الفخّي بن علي ابن الحسن بن الحسن، ولا عن يحيى بن عبد الله بن الحسن، ولا عن أخيه ادريس بن عبدالله، ولا عن محمد بن جعفر الصادق، ولا عن محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن المعروف بابن طباطبا، ولا عن أخيه القاسم الرسي، ولا عن محمد بن محمد بن زيد بن علي، ولا عن محمد بن القاسم بن علي بن عمر الاشرف بن زين العابدين صاحب الطالقان المعاصر للبخاري. ولا عن غيرهم من اعلام العترة الطاهرة، وأغصان الشجرة الزاهرة، كعبدالله بن الحسن، وعلي بن جعفر العريضي، وغيرهما من ثقل رسول الله وبقيته في أمته (ص)، حتى أنه لم يرو شيئاً من حديث سبطه الاكبر، وريحانته من الدنيا، أبي محمد الحسن المجتبى سيد شباب أهل الجنة، مع احتجاجه بداعية الخوارج وأشدهم عداوة لأهل البيت – عمران بن حطان – القائل في ابن ملجم، وضربته لأمير المؤمنين عليه السلام:

يـــا ضربــة من تقي مــا اراد بـها إلا لـيبلــغ مـــن ذي الــــعرش رضـــوانا
إنــــي لأذكره يـــوماً فـــأحســـبه أوفى البــــريــــــة عند الله ميزانــــــا

أما ورب الكعبة، وباعث النبيين، لقد وقفت هنا وقفة المدهوش، وقمت مقام المذعور، وما كنت أحسب أن الامر يبلغ هذه الغاية." (بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1408هـ - 1988م، ط 10، ص 377- 378).

2- الإمام شرف الدين، المراجعات، 1982م، ط2، ص 15.

والنتيجة أن جزءاً كبيراً من التراث الإسلامي تشكّل بناءً على سياسات السلطة وتدخلاتها، وتلبية لرغباتها، في صناعة تراث علمي ديني في الفقه والكلام والتاريخ وسوى ذلك يتماهى مع أهدافها، حتى ولو كان بعد المشرقين بينه وبين كتاب الله، والصحيح من سنة رسوله (ص)[1].

والخطورة في هذا المقام أن مجمل الذين أتوا من بعد تلقفوا هذا التراث بصحيحه وسقيمه - وسقيمه كثير- تلقف من يحسن الظن بمن روى فيه الرواية، وأفتى الفتوى، وأبان العقيدة، وسطر التاريخ...وهو لا يعلم أن الكثير من ذلك، كان أجره مدفوعاً من جيب السلطان ورنين دنانيره، إستجابة لمصالحه، وتلبية لرغباته. فأصبح يرى أن جفاء أهل بيت رسول الله ديناً، والإجرام بحق من أحبهم زلفى؛ وان العدوان على شيعتهم طاعة، ظلمهم قربة، في حين أن كل ذلك كان في أصله ثأراً من رسول الله (ص)، وإنتقاماً من أهل بيته (ع)، وعبثاً من فقهاء السلطان بإرثه وسنته.

4. <u>الإرهاب الفكري والديني:</u> وهو أسلوب من الأساليب التي استخدمت لإضعاف معارضي السلطة والنيل منهم، بل تشويه حقيقتهم الدينية وحقيقة انتمائهم، وممارسة التضليل بالنسبة إلى معتقداتهم وهويتهم، تمهيداً لتبرير النيل منهم، وإغراء الكثير ممن تنطلي عليه أضاليل السلطة وإعلامها المغرض على ألسنة فقهاء السلطان، لممارسة شتى ألوان الإجرام والعدوان بحق أهل البيت (ع) وشيعتهم، ومن نظر قلبه بعيون الحب والمودة إليهم.

إن الكثير ممن مشى في ركاب السلطة ناقماً على أهل بيت رسول الله (ص) وشيعتهم، إنما يفعل ذلك لقلة زاد في العلم، أو ثقة عمياء بمن حسن ظنه به، وعده من كبار أهل العلم والفقه، وهو يجهل أن أولئك أفتوا ونطقوا، ورووا وكتبوا..لأنهم أكلوا على مائدة السلطان، فضربوا بألسنتهم وأقلامهم بين يديه.

إن المطبخ الثقافي والمعرفي للسلطة لم يكتفِ بإنتاج وصمة عنوانها الرافضة، ووصم شيعة أهل البيت (ع) بها، وإنما ذهب أبعد من ذلك – وهذا

2- يذكر ابن أبي الحديد المعتزلي في كتابه "شرح نهج البلاغة" أن معاوية بن أبي سفيان كتب إلى عماله يقول:" ..فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة والخلفاء، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد في ابي تراب، إلا واتوني بمناقض له في الصحابة، فإنّ هذا أحب إليّ وأقر لعيني، وأدحض لحجة أبي تراب وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله.

فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لها،...حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن.." (م س، ج11، ص 45).

كان غايته من إنتاج تلك الوصمة – إلى ممارسة شتى ألوان الإرهاب الفكري والديني بحق من يستهدفهم بذلك الوصم، ولذلك تراه يفتري الكذب على رسول الله، (ص) مبتدعاً روايات تفيد أن الرافضة مشركون، بهدف إخراجهم من الملة، ونزع صفة الإسلام عنهم. ومن خلال عنوان الشرك، تستطيع أجهزة السلطة ومن مشى في ركابها، أن تمارس شتى ألوان الإرهاب (الديني والفكري) والإجرام والعدوان بحق من يطلق عليه، ويوصف به.

وللأسف إن هذا الذي حصل في التاريخ، وانطلى على كثير من بسطاء الأمة، حين وقع في فخ السلطة، وأكل من تراثها، وهو لايعلم أن سُمَّه كثير، ووضعه وفير؛ فاتهم من وحّد الله بالشرك، ومن أطاع رسوله (ص) بالكفر، ولم يدع مسألة إلا وإتخذها ذريعة إلى حكمه، ودليلاً على وهمه، لا شيء إلا لأنها تخالف ما هو عليه، أو رأي ذهب إليه.[1]

لقد أصبح الغالب على البعض، هو سوء الظن بمن اتهم بالشرك أو رُمِي بالكفر، حتى لم يعد من اليسير عليه، أن يخرج من سطوة تلك المرويات المكذوبة، والأحاديث الموضوعة، فلم يعد ينظر إلى شيعة أهل البيت (ع) إلا بعيون تلك المكذوبات وبمنظار تلك الموضوعات، فأينما رأى فعلاً يُخالف ما هو عليه، يتخذه دليلاً على شركهم، ومطية إلى الحكم بكفرهم.

إنك لتعجب مما تسمع، كيف يتفتق عقل البعض، فيُسهب في أقاويل تضحك الثكلى في خدرها، وتدع اللبيب حيراناً، فمن سجد على التراب مثلاً، عُدّ شركاً لأنه تراب الحسين؛ ومن زار مقاماً لأهل البيت (ع) محبةً لهم في الله تعالى، عُدّ شركاً، لأنه مقام علي (ع) والحسين (ع)! واللائحة تطول، حتى لتقطع أن هؤلاء لا ينطقون بحجة ولا علم، وإنما يعيشون هوس الكفر أو الشرك، ويا ليتهم طبقوا قواعد الشرك لديهم على فقهاء السلطان ومصنفاتهم، وعلماء البلاط وفتاواهم، لأراحوا واستراحوا. ولن يفعلوا إلا عندما يهجرون من سوى الله تعالى، مهما عظمت تسمياته، وكثرت مرويات السلطان في مقاماته، ويتمسكون فقط وفقط بكتاب الله، والصحيح الصحيح من سنة رسوله.

للأسف، وبكل مرارة، نقول: لقد أحدثت سياسات السلطة قديماً شرخاً في الأمة ما زال طعمه يضرس إلى يومنا هذا، والدهر الذي نعيش. شرخ لن

1- من باب المثال، انظر في الحكم بكفر الرافضة: ابن عابدين، حاشية رد المحتار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995م، ج 4، ص 238؛ وفي أنّه لا يصلى خلف الرافضي ولا يُصلى عليه: عبدالله بن قدامه، المغني، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت، ج 2، ص 22 وص 419.

يلحم، وفتق لن يرتق، إلا برحمة عظيمة من الله تعالى، واعتصام من الأمة بحبله، وإستمساك بكتابه، وجهاد فيه يهدي إلى سبله، وحلم وسيع، لا يستنفذه جهل الجاهلين، وحقد المتعصبين، ومن فعله أكثر ضرراً بالإسلام والمسلمين، و"هم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً".[1]

5. <u>الإرهاب النفسي:</u> إن جميع ما تقدم، لا ينفصل عن ممارسات الإرهاب النفسي، التي مورست بحق معارضي السلطة ومشروعها، من وصمهم بذلك الوصم، الذي أريد له أن يتحول إلى منقصة، ومذمة لها بُعد إجتماعي عام للنيل من شيعة أهل البيت (ع)، إلى اتهامهم بشتى التهم، من الشرك، والكفر، والغلو، إلى تهديدهم ووعيدهم بالقتل وما سواه، إلى إمكانية التعرض لهم في أي شيء من أموالهم وممتلكاتهم، دون أن يكون لهم القدرة على الدفاع عن أنفسهم وحقوقهم، إلى ممارسة شتى أنواع الوعيد والتهديد بحقهم...

لقد مورست شتى أساليب الإرهاب النفسي بحق أهل البيت (ع) وشيعتهم، وكان الهدف دوماً الرضوخ للسلطان وسطوته، والإعتراف به ومشروعيته، وتراجعهم عن معتقداتهم وقناعاتهم، وما أخذوه من رسول الله (ص) وجاء به الأئمة من ذريته وأهل بيته (ع)، من علوم نهلوها منه، وأحكام حوتها رسالته.
إن من يعود إلى التاريخ البعيد وغيره، يجد أن ما نتحدث فيه ليس نسجاً من خيال، وليس بدعاً من قيل وقال، بل إن شواهد التاريخ عليه كثيرة، وأدلته على ما نقول وفيرة، يكفي أن نعود إلى سياسات الأمويين والعباسيين بحق أتباع الإمام علي (ع) وأصحابه، من قتلٍ على التهمة، وتعقبٍ لهم خلف كل حجرٍ ومدر. يكفي أن نعود إلى ما حصل مع حفيد رسول الله (ص) الإمام الحسين (ع) وأهل بيته (ع) من مظالم ومآسي، يندى لها جبين التاريخ، ويتفطر لها القلب شجى، حتى يدرك العاتب عما نتحدث، وإلى أي بلاء ابتليت به الأمة نشير.

وإذا ما طرح السؤال عن السبب الذي يستدعي من السلطة الأموية - أو غير الأموية - أن تبادر إلى استهداف أهل البيت (ع) وشيعتهم إلى هذا المستوى، وهل أن الأمر يرتبط بأفعال محددة، أم أنه يرتبط بمشروع أبعد مدى؟ وإذا كان هناك من مشروع فما هي عناوينه، وما هي خلفية السعي إليه؟

1- القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية 104.

فهذا ما سنحاول الإجابة عليه أو بعضه في العنوان التالي.

4. **المشروع الأموي: تدوير المصطلح وأسبابه التاريخية:** إن صناعة المصطلح وسوء توظيفه يرتبط بمشروع أوسع مدى كانت تتبناه السلطة الأموية وتعمل على تنفيذه، والسر في ذلك أن الإنتصار الذي حققه المسلمون على قريش وقيادتها المتمثلة بأبي سفيان، والذي توّج بدخول المسلمين إلى مكة وفتحها، قد أدى إلى كسر شوكتها، وإلى إفتقاد ذلك التحالف القرشي - والذي كان على رأسه البيت الأموي - كل تلك الصدارة والمكانة التي كان يمتلكها في الجاهلية، قبل إنتصار المسلمين ودخولهم مكة.

وخصوصاً أن ثمن الهزيمة التي تجرعها ذلك التحالف القرشي كان كبيراً جداً، عندما قُتل الكثير من ساداتهم ورجالهم في المعارك التي خاضوها مع المسلمين، والعديد من هؤلاء كان من كبار البيت الأموي، وهذا ما خلّف في أنفسهم الكثير من مشاعر الحقد والضغينة، مشفوعة بقيم جاهلية من الميل إلى الثأر وحب الإنتقام من المشروع الإسلامي وعلى رأسه رسول الله (ص) وأهل بيته وذريته (ع)، ممزوجة بالحنين إلى أمجاد الماضي، التي كانوا عليها أيام الجاهلية وتقاليدها وقيمها.

لكن لم يكن من السهولة بمكان الإعلان عن ذلك الميل إلى الثأر من رسول الله (ص) والتشفي (الإنتقام) منه بشخصه، فكان الثأر من أهل بيته (ع) وذريته وشيعتهم وسيلة لهم للإنتقام منه (ص)، لما فعله بهم في بدر وأُحد وغيرها.

فهم لم يبلعوا هزيمتهم في بدر ولا غيرها، ولم يناموا عن الثأر لمقتل كبارهم في المعارك التي خاضوها مع المسلمين، بل هم لم يظهروا إسلامهم إلا بعد أن أسقط ما في يدهم، ولم تبق لهم من قدرة على مواجهة رسول الله (ص) وجيشه، ولذلك سايروا الأمور متربصين الفرصة التي تعينهم على العودة إلى أمجادهم، والثأر لإسلافهم.

فكان أن تسللوا إلى مفاصل الدولة الإسلامية والعديد من مناصبها العليا، حتى إذا تهيأت لهم الظروف، وأمسكوا برأس السلطة (الخلافة)، وسيطروا على جميع مفاصلها؛ بدأوا تنفيذ مشروعهم مستخدمين جميع إمكانياتها في

إسقاط أهل بيت رسول الله (ص) والإنتقام منهم، ليس فقط على المستوى السياسي، وإنما أيضاً على المستوى الديني والإجتماعي وغيره.

فأعلنوا حرباً شعواء على أكثر من مستوى، وفي أكثر من ميدان، من قتل سبط رسول الله (ص) الإمام الحسين (ع) وأهل بيته في كربلاء، وقبلها مواجهة الإمام علي (ع) أيام خلافته، إلى لعنه وسبه لعقود من الزمن من على منابر المساجد، والسعي إلى تحويلها سنة، إلى اختلاق الأحاديث الدينية في الطعن في أهل البيت (ع)وذم شيعتهم والنيل منهم، وتسويغ قتلهم وقتل الموالين لهم[1]، بل وإسقاط مشروعيتهم الدينية والسياسية، وتشويه صورتهم، وضرب مكانتهم في قلوب أبناء الأمة، فاشتروا ذمم العديد من الفقهاء - فقهاء السلطان - بثمنٍ بخسٍ من جاه أو مال، فرووا لهم أحاديث، بررت ظلمهم وطغيانهم.

فكان أن نال شيعة أهل البيت (ع) والموالين لهم نصيبهم من غريزة الثأر تلك، والميل إلى الإنتقام ذاك، وخصوصاً عندما تحولت فتاوى أولئك الفقهاء المأجورين للسلطة الأموية، الى جزء من ذلك التراث الفقهي والديني، لا يناقش فيه، ولا يبدل، بل يُعظّم ويقدس ويُبجّل.

فأتى مَن بعدهم ليبني على ذلك التراث، ويتخذه ديناً له، ويتقرب إلى الله به، وهو لا يعلم أن مبعثه الإنتقام من رسول الله (ص)، وأن مصدره الثأر من أهل بيته (ع). وذلك لما نال قريشاً، وفي صلبها البيت الأموي في بدر وأُحد وغيرها. ليجيء من خلفهم من تأثر بأولئك الرواة والفقهاء، وحسن ظنه بورعهم، مستنبشاً تُهماً لفقوها، ودعاوى أحدثوها، لا تبدأ عند الرفض وتُهمتهِ، ولا تنتهي عند الشرك وفريته، ليصرفها فتنة وإجراماً، قتلاً وإفساداً، وخدمة لأعداء الدين، وفتنة بين طوائف المسلمين.

فهذا الذي يُعمل على إحيائه من جديد ، انها دعوى جاهلية بلباس الدين، وفتاوى فقهاء مأجورين، للنيل من أولئك المسلمين، الذين اتبعوا أهل بيت

1- يذكر ابن الحديد المعتزلي بعضاً من تلك المظالم أيام الأمويين فيقول: " استعمل معاوية زياد بن سمية على العراق، فكان يتتبع الشيعة، ..فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم

رسول الله (ص)، لا لذنبٍ أذنبوه، ولا جرمٍ اقترفوه، إلا حبهم لأهل البيت (ع)، واعتقادهم بهم، واستعدادهم لتقديم الغالي والنفيس في دربهم ومودتهم.

5. **<u>السلطة العباسية وإرث المصطلح:</u>** صحيح أنّ السلطة العباسية قامت على أنقاض السلطة الأموية، لكن سياساتها تجاه أهل بيت رسول الله وشيعتهم لم تكن أفضل حالاً، بل كانت أشدّ عليهم وأكثر سوءاً، عندما نظرت إليهم كمنافس لها، وخصوصاً على مستوى المشروعية الدينية والسياسية، تلك المشروعية التي كانت ترى فيها السلطة العباسية نقطة ضعف تعاني منها.

لم يرث العباسيون عن الأمويين سلطتهم فقط، وإنّما أيضاً تلك التركة من سياسات الإضطهاد والإستضعاف، التي كانت تمارس بحق أئمة أهل البيت (ع) وشيعتهم، بما في ذلك سلاح الترفيض والتكفير، بل كانت أشدّ فتكاً في استعماله وتوظيفه، والمدى الذي ذهبت فيه.

لقد تركت السلطة الأموية لتاليتها العباسية إرثاً جاهزاً للإستعمال، بحق المعارضين لها من المسلمين الشيعة؛ إرث ينطوي على ثقافة عنصرية تحمل عنوان الرافضة، وتراث علمي مبثوث في مطاوي الفقه والتراجم والكلام وغيره. فلماذا تزهد السلطة بأدوات دينية - اجتماعية – سياسية. توفر لها القدرة على منازلة خصومها، في أكثر من ميدان، وعلى أكثر من مستوى؟
في هذا، لم تقطع السلطة العباسية مع سابقتها الأموية، وإنما أكملت ما زرع أصوله المشروع الأموي، وبطريقة أشدّ ضراوة وأكثر قسوة.

على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق، فلم يبقَ بها معروف منهم..." (شرح نهج البلاغة، م س).
وفي هذا المورد يقول الإمام الباقر (ع): ".. لم نزل أهل البيت (ع) نستذل ونقتل ونخاف، ولا نأمن على دمائنا ودماء موالينا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم، موضعاً يتقربون إلى ولاتهم السوء، وقضاة السوء، وعمال السوء.. يحدثونهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة.
ورووا عنا ما لم نقله ولم نفعله، ليبغضونا إلى الناس. فقتل موالينا ومحبينا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر محبتنا والإنقطاع إلينا سجن [أو نُهب ماله] أو هدمت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمن عبيدالله بن زياد، قاتل الحسين (ع) وأصحابه، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنة، حتى أنّ الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، أحب إليه من أن يقال له محب علي .." (القندوزي، ينابيع المودة، م س، ج3، ص 278).

ونحن هنا لن نتوسع في إشكالية الرافضة والسلطة العباسية، لأن بحثنا ليس بحثاً تاريخياً صرفاً، وتركيزنا على السلطة الأموية، إنما هو من باب كونها السلطة التي أسست اساس ذلك المشروع، وأحكمت بنيانه، وجعلت منه جزءاً من التراث الإسلامي والثقافة المجتمعية، ولو لدى فئات بعينها، تشوهت به، وشرقت بعلقمه.

وسوف نقتصر - في هذا المورد - على بعض الشواهد، التي تظهر إلى أي مدى ذهبت السلطة العباسية في استخدام مصطلح الرافضة وتوظيفه، في سياسات الإضطهاد والظلم، التي مارستها بحق من يوصم به من شيعة أهل البيت (ع)، إلى درجة أن من يتوضأ للصلاة على طريقة الرافضة، كان يعرض نفسه للقتل، لأنه في قانون السلطة وقاموسها آنذاك، لم يكن مسموحاً أن يمارس المسلم قناعاته الدينية، حتى فيما يراه صحيحاً في طهارته للصلاة ووضوئه.

ينقل الحر العاملي في كتابه "وسائل الشيعة" هذه القصة، عن داود الرقي، حيث يقول : " دخلت على أبي عبدالله عليه السلام [الإمام الصادق (ع)]، فقلت له : جعلت فداك، كم عدد الطهارة؟ فقال : ما أوجبه الله فواحدة، وأضاف إليها رسول الله (ص) واحدة...[و] أنا معه في ذا، حتى جاءه داود الزربي، فسأله عن عدة الطهارة؛ فقال له : ثلاثاً ثلاثاً.. فأبصر ابو عبد الله عليه السلام إلي، وقد تغير لوني، فقال : اسكن يا داود، هذا هو الكفر، أو ضرب الأعناق.
قال : فخرجنا من عنده، وكان ابن زربي إلى جوار بستان ابي جعفر المنصور، وكان قد ألقي إلى ابي جعفر أمر داود بن زربي، وأنّه رافضي، يختلف إلى جعفر بن محمد، فقال ابو جعفر المنصور : إني مطلع إلى طهارته، فإن هو توضأ وضوء جعفر بن محمد - فإني لأعرف طهارته - حققت عليه القول وقتلته، فاطلع وداود يتهيأ للصلاة من حيث لا يراه، فأسبغ داود بن زربي الوضوء ثلاثاً ثلاثاً، كما أمر أبو عبدالله عليه السلام، فما تم وضوءه، حتى بعث إليه ابو جعفر المنصور، فدعاه، قال : فقال داود: فلما إن دخلت عليه رحّب بي، وقال : يا داود، قيل فيك شيء باطل، وما أنت كذلك، قد اطلعت على طهارتك، وليس طهارتك طهارة الرافضة..."[1]

وقد حصل الأمر نفسه مع علي بن يقطين، عندما سُعي به إلى هارون الرشيد، فاتهموه بأنّه رافضي بهدف النيل منه وإيقاع الرشيد به[2]، لكن سوف نكتفي بما أوردنا، للإشارة إلى مدى الإضطهاد الذي كانت تمارسه السلطة العباسية بحق من كانوا يسمون الرافضة (شيعة أهل البيت(ع))، عندما تصل الأمور إلى حدّ القتل حتى لمجرد أن يتوضأ المرء وضوء الرافضة؛ فكيف إن كانت أمور أهم تخالف ما عليه السلطة أو ترى فيها تهديداً أشدّ لها ولمشروعيتها؟

6. **<u>موقف أئمة أهل البيت (ع) من المصطلح واستخدامه</u>**:بناءً على جميع ما قدمناه، من كون هذا المصطلح واستخداماته وما يترتب عليه، وسيلة من ضمن مشروعٍ أشمل، يستهدف النيل من أهل البيت(ع) وشيعتهم واسقاطهم، سيصبح من الطبيعي أن يكون الموقف من هذا المصطلح منسجماً مع الموقف من مجمل ذلك المشروع الأموي، أي رفضه ومواجهة سوء الإستخدام الذي قامت به السلطة الأموية وأدواتها، من فقهاء البلاط الأموي وتابعيه.

لكن يبدو من بعض النصوص الواردة عن أئمة أهل البيت (ع) مدح لهذا المصطلح، فعندما شكى إليه أحد أصحابه، ذلك المصطلح وسوء استخدامه " اسم سمينا به (الرافضة) استحلت به الولاة دماءنا، وأموالنا، وعذابنا" يجيبه الإمام الباقر (ع) : " إن سبعين رجلاً من عسكر فرعون رفضوا فرعون، فأتوا موسى عليه السلام، فلم يكن في قوم موسى عليه السلام أحد أشدّ اجتهاداً، ولا أشدّ حباً لهارون منهم، فسماهم قوم موسى الرافضة، فأوحى الله إلى موسى

1- مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، 1414 هـ، ط2، ج1، ص 444.
2 - البحراني، الحدائق الناضرة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ج 2، ص 327.

أن ثبت لهم هذا الإسم في التوراة، فإني قد نحلتهم؛ وذلك اسم قد نحلكموه الله". [1]

كما ورد عن الإمام الباقر (ع) قوله :" أنا من الرافضة وهو مني. قالها ثلاثاً"[2]. حيث يبدو أنّ الإمام قد بيّن موقفه هذا في مقام الردّ على تعيير الشيعة بهذا الإسم، وجواباً على الشكاوى التي كانت تعرض لهم من النبز به. وما التأكيد على مضمون الحديث (قالها ثلاثاً) إلا من باب الحاجة إلى الدفاع بقوة أمام حجم الحملة، التي كانوا يتعرضون لها وشيعتهم في هذا المجال وغيره.

وفي حديث آخر يحمل المضمون نفسه عن الإمام الصادق (ع)، عندما يسأله سليمان الأعمش قائلاً له : "جعلت فداك إن الناس يسمونا الروافض، فما الروافض؟ فقال [أي الإمام (ع)]: والله ما هم سموكموه، ولكن الله سماكم به في التوراة والإنجيل، على لسان موسى ولسان عيسى، وذلك أن سبعين رجلاً من قوم فرعون رفضوا فرعون، ودخلوا في دين موسى، فسماهم الله تعالى الرافضة، وأوحى إلى موسى أن أثبت لهم هذا الإسم في التوراة، حتى يملكونه على لسان محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ففرقهم الله فرقاً كثيرةً وتشعبوا شعباً كثيرة، فرفضوا الخير ورفضتم الشر، واستقمتم مع أهل بيت نبيكم عليهم السلام، فذهبتم حيث ذهب نبيكم، واخترتم من اختار الله ورسوله...". [3]

وفي نص آخر، يحمل المضمون نفسه للإمام الصادق (ع): ".. لا والله ما هم سموكم، ولكن الله سماكم به. أما علمت يا أبا محمد، أن سبعين رجلاً من بني إسرائيل، رفضوا فرعون وقومه، لما استبان لهم ضلالهم، فلحقوا بموسى عليه السلام لما استبان لهم هداه، فسموا في عسكر موسى الرافضة، لأنهم رفضوا فرعون، وكانوا أشد أهل ذلك العسكر عبادة، وأشدهم حباً لموسى وهارون وذريتهما عليهما السلام، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن أثبت لهم هذا الإسم في التوراة، فإني قد سميتهم به ونحلتهم إياه، فأثبت

1- البرقي، المحاسن، م س، ج1، ص 157.
2- الشيخ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، م س، ج4، ص 171.
3- الكليني، الكافي، تح علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، 1362 هـ ش، ط4، ص 34.

موسى عليه السلام الإسم لهم، ثمّ ذخر الله عز وجل لكم هذا الإسم حتى نحلكموه.
يا أبا محمد: رفضوا الخير ورفضتم الشر، إفترق الناس كل فرقة، وتشعبوا كل شعبة، فانشعبتم مع أهل بيت نبيكم (صلى الله عليه وآله) وذهبتم حيث ذهبوا، واخترتم من اختار الله لكم، وأردتم من أراد الله ..."[1].
وبناءٍ عليه، يمكن أن يصار إلى أحد رأيين:
الأول: أن أئمة أهل البيت (ع) عندما مدحوا هذا المصطلح، فمن باب عدم الممانعة في عموم استخدامه، وشيوع اطلاقه على شيعتهم، وأنه يستفاد من مدحهم له أنهم أقروا استعماله بحق شيعتهم، بما يعنيه ذلك من عدم المنع من أن يُستعمل بشكل عام للتعبير عن أتباعهم وشيعتهم، بل الدعوة إلى ذلك، لما تضمنته تلك الروايات الواردة عنهم، من مدح كبير لهذا الإسم، وأنه من الله تعالى نحلة لهم.

لكن قد يناقش هذا الفهم، بأنه لم يُؤثَر عن أئمة أهل البيت (ع) الدعوة ابتداءً إلى إطلاق ذلك الإسم على شيعتهم، ولم يُعرف تاريخياً في عصر الأئمة وما تلاه تبني ذلك الإسم منهم ومن أصحابهم، بحيث لم يُعرف استعماله منهم، ولم ينتشر إطلاقه على جماعتهم، ولم يعرفوا به من تلقاء أنفسهم، وإنما كان يطلق عليهم من غيرهم ممن عاداهم، أو خاصمهم، أو جرى على سنة من فعل ذلك منهم، ولو من دون دراية منه بمنشأ هذا الإسم، والهدف من إلصاقه بهم.
الثاني: إن مدح أئمة أهل البيت (ع) لهذا المصطلح، لم يكن بهدف إقرار استعماله، والدعوة إلى عموم إطلاقه، وإنما بهدف تعطيل مفعول هذا المصطلح، وقدرته على سوء الإستخدام الذي كان يمارس من قبل السلطة الأموية وغيرها، لإرهاب شيعة أهل البيت (ع)، والنيل منهم، وتبرير قتلهم ممارسة الإضطهاد بحقهم..
إن أئمة أهل البيت (ع)، في مواجهتهم للهجمة عليهم، واستهداف السلطة لهم ولشيعتهم؛ كانوا بين أمرين: إما التبرؤ من هذا المصطلح ونفي انطباقه

1- المازندراني، شرح أصول الكافي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 200م، ط1، ص 308.

عليهم وعلى شيعتهم، وهذا قد لا ينجح، لأن إطلاق هذا المصطلح واستخدامه لم يكن منهم، وشيوعه لم يكن بيدهم؛ والثاني هو تعطيل قدرة هذا المصطلح على سوء الإستخدام، وعنصرية التوظيف، وذلك من خلال إعطاء أبعاد دلالية مختلفة عن تلك التي أعطتها السلطة الأموية وفقهاء البلاط لديها. فقصدوا إلى إبطال تشويهه، وعملوا على حُسن تجميله، وإعادته إلى أصوله الدينية[1]، قبل أن تعمل السلطة الأموية على تقبيحه، وإعادة إنتاجه، بما ينسجم مع سياساتها في استهداف أهل البيت (ع) وشيعتهم.

وهذا الذي اعتمده أئمة أهل البيت (ع)، على ما يبدو من البيئة العامة للنصوص، وظروفها التاريخية، وفهم آليات الدفاع التي اعتمدت لحماية شيعتهم، من طبيعة الإستهداف الذي كانوا يتعرضون له ونتائجه.

فهم بموقفهم هذا كانوا يعبرون عن رفض هذا الهجوم عليهم، وعدم الرضوخ له، وعدم الإستكانة أمام شتى ألوان الإرهاب التي كانت تمارس بحقهم. فهم لم يجبنوا أمام هذا المصطلح وهجمته، ولم ينهزموا أمام سوء استخدامه وحملته، ولم يضعفوا أمام عنصرية توظيفه، بل واجهوا سياسة السلطة في تشويه هذا المصطلح، بسياسة مماثلة في تجميله، وإعادته إلى أصوله الدينية الصحيحة، على مستوى التاريخ الديني عامةً، والدور الرافض الذي مارسه الأنبياء وأتباعهم في وجه الفراعنة وأعوانهم بشكل خاص.

لقد كانت سياسة السلطة تتألف من خطوتين:

الأولى : تشويه المصطلح، والعمل على تقبيحه.

الثانية: تشويه من يطلق عليه، والعمل على استهدافه.

1- إن تاريخ الأنبياء والرسل هو تاريخ الرفض للظلم وكل أشكاله، وما ربط هذا المصطلح بتاريخ نبي الله موسى(ع) إلا من هذا الباب، وللإشارة بأنّ حركة الأنبياء لا تنفصل عن حقيقة الرفض للفرعونية وظلمها، وكذلك الأمر فيما يرتبط بنبي الله عيسى (ع) أو نبي الله إدريس (ع)، حيث تعرض بعض الروايات الواردة عن الإمام الباقر(ع) إلى بعض نماذج الرفض التي كانت موجودة في زمن نبي الله إدريس ووجود الرافضة في ذلك الحين. (أنظر: الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، 1405هـ ق، ص 127).

فكان الرد - بحسب ما يظهر من روايات أهل البيت (ع) - متجهاً بشكل أساس إلى الخطوة الأولى، وقاصداً إلى افشال المشروع من أساسه، ومعبراً في طياته عن روح العزة والمواجهة، بما يحمل من تأكيد على الإرتباط بكل تاريخ الأنبياء والأولياء عبر التاريخ، ومعارضتهم للظلم والتكبر، والفساد والإفساد، ورفضهم لكل سياساته وطرقه.

لقد كان الرد على الشكل التالي: إن أردتم القول إننا رافضة؟ فنعم نحن رافضة، لكن أنتم تجهلون معنى الرافضة وقيمة الرفض، نحن رافضة لأننا رفضنا ظلم الأمويين وفسادهم، كما رفض بعض من قوم فرعون ظلم فرعون وفساده. نحن رافضة، لأننا رفضنا كل ألوان الإنحراف والشر والطغيان التي مارستها السلطة وأزلامها، كما فعل الأنبياء واتباعهم من قبل. نحن رافضة لأننا واجهنا كل سياسات السلطة واستبدادها وفسادها وإفسادها، كما فعل الرسل واتباعهم من قبل.

انه لا يُعاب على من تسمى أو سُمي بالرافضة، وإنما يُعاب على من انخرط في فساد السلطة وانحرافها، ومن لم يُمارس دوره في الإصلاح ومعارضتها، ومن رضي أن يكون جزءاً من خطابها وإعلامها، ومُساهماً في إنتاج ثقافتها وتراثها، في ترفيض أوتكفير من يرفضها ويعارضها، واتهامه بشتى أنواع التهم، بهدف إسقاطه واضعافه والنيل منه.

نعم نحن رافضة؛ لأننا انحزنا إلى أهل بيت رسول الله (ص)، ورفضنا الإنحياز إلى من سواهم، من سلطة أموية أو تاليتها عباسية، نحن رافضة لأننا اتبعنا هَدْيَ رسول الله (ص) في أهل بيته (ع)، ورفضنا إتباع من لم نجد دليلاً على اتباعه وهديه، نحن رافضة لأننا رفضنا معصية الله ورسوله (ص) في ذريته، عندما أمرنا رسول الله (ص) باتباعهم، ورفضنا من دعانا إلى ترك سبيلهم وهداهم، عندما أمرنا الله ورسوله (ص) بحبهم، ورفضنا من دعانا إلى بُغضهم والبراءة منهم. فإن كان الترفيض مهر الطاعة لله تعالى في رسوله وأهل بيته، وعربون ولاء لهم، وعلامة على حبهم، فلنِعْمَ الشعار، ولنِعْمَ الدثار، ولِنِعم الإسم والرسم، أن تكون رافضياً في طاعة الله تعالى، وحب الرسول (ص) وأهل بيته.

إنّ المضمون الذي حملته روايات أهل البيت (ع)، جاء معبراً عن الرفض لإرهاب السلطة وظلمها من جهة، وساعياً إلى إبطال مجمل الآثار التي تترتب

على سوء توظيف المصطلح من جهة أخرى. والهدف هو تحصين شيعتهم من ذلك الإستهداف، وحمايتهم من مجمل النتائج التي تترتب عليه، سواء على المستوى النفسي أوالإجتماعي أو الديني أو سوى ذلك.

إن استعارة قضية موسى وهارون وذريتهما، وما جرى عليهما، والوصل بينه وبين ما جرى مع رسول الله (ص) وأهل بيته (ع) وذريتهم؛ إنما يريد القول بأن ما حصل يحصل من جديد، فالوقائع متشابهة، والأحداث متطابقة، والرفض الذي كان، ما زال مستمراً، وما برح متواتراً، تغيرت الأسماء وحقائق الازمان لم تتغير،وها هو التاريخ يعيد نفسه.

بناءً على جميع ما تقدم يمكن القول إن موقف أئمة أهل البيت (ع)، لم يكن موقف إقرار لعموم إطلاقه، أودعوة لشيوع استعماله، بمقدار ما كان موقف رفض لإرهاب السلطة وسياستها، وسعي إلى إفشال مشروعها، وتحصين لشيعتهم، وحماية لهم، وتأكيد على شحنهم بروح العزة والإباء، من خلال ربطهم بالمضمون الحقيقي للمصطلح وتاريخه الحق، فيما يختزنه من رفض لأي فعل ظالم أو فاسد، تبادر إليه السلطة ذات العقل الفرعوني.

فهم لم يدعوا بشكل عام وبدوي إلى إطلاقه على المسلمين الشيعة، ولم يؤثر عنهم ذلك، وإنما المأثور عنهم أسماء وتعابير أخرى من قبيل (شيعتنا...) وهي التي اشتهرت واعتُمدت، ولذلك كانت إجاباتهم وما تضمنته من مدح للإسم، في موقع الرد على أسئلة محددة، ولغايات معينة، من تعطيل لتوظيف المصطلح، وحماية لمن استهدف به وارجاع له إلى معناه الحق، وربطه بتاريخ الأنبياء والرسل في الرفض للظلم والفراعنة. بل إن تلك الإجابات تشي بشيء من تصنيف الخصم، وأنه في موقع المندرج في مشروع السلطة وظلمها، والمنخرط في سياساتها واستبدادها.

إنه ليرجح القول إن أئمة أهل البيت (ع) لم يكونوا في وارد إقرار مصطلح، هو بدلالاته الحالية جزء من مشروع سلطة تريد أن تستهدفهم وشيعتهم، وإنما جاءت ردودهم في سياق إفشال مشروع السلطة، من خلال العمل على غسيل ذلك المصطلح وتطهيره، وتعطيل أية قدرة لديه على سوء الإستخدام، وإرهاب التوظيف.

7. **<u>كيف يجب التعامل معه حالياً؟:</u>** للأسف، إن ما يعمل عليه البعض حالياً هو نبش لكل ما انطوى عليه التاريخ من مراحل مظلمة، تستبطن الفتن والقتل والإجرام، وإحياء للتراث بصحيحه وفاسده، وما يشتمل عليه من أحاديث موضوعة، وفتاوى تخالف صريح كتاب الله تعالى وسنة رسوله (ص)، وأفكار بالية، وإجترار من غير بصيرة، لكثير مما أحدثه فقهاء البلاط الأموي، وعلماء السلطان، ومن انتهج مشربهم، وطعم من مأكلهم.

إن من جملة ما يُعمل على بعثه من جديد هو قضية الرافضة، كأداة في مشروع فتنة يُراد إحداثها بين المسلمين. والملفت في الأمر أن العديد ممن يجدر به في زماننا المعاصر أن يكون ذا دراية أو تعقل في استخدام هذا المصطلح وإدراك مخاطره، يعمد وبشكل ببغائي إلى ممارسة أكثر من اجترار إصطلاحي، دون تبصر أو تفقه في المصطلح وتاريخه وخطورة استخدامه، حتى أن قناة عربية خليجية ذات شأن، تستضيف في بعض برامجها من يستخدم هذا المصطلح، داعياً إلى قطع رؤوس من يسميهم بالروافض، دون أن يلقى أي اعتراض من مقدم البرنامج – وهو إعلامي معروف - ودون أن تبادر القناة إلى تقديم إعتذار إلى من يعنيهم، ذلك المحامي عن التيار السلفي في إحدى الدول العربية، بتعبيره الروافض. فهل تريد تلك القناة وإدارتها الموقرة - فضلاً عن المسؤولين في الدولة الراعية – أن يُسارع السيافون إلى قطع رؤوس عدد كبير من العاملين في تلك القناة أو مواطني تلك الدولة التي تقع تلك القناة في أراضيها؟ فهل يُعقل أن تسمح دولة ما لقناة تعمل في أراضيها، أن تتحول برامجها إلى منبر يدعو إلى قطع رؤوس مواطنيها والإفتاء بذبحهم! أم هل يصح أن نستنبش تلك الفتاوى البالية، التي تدعو إلى قتل مئات الملايين من المسلمين وغيرهم، لا لشيء إلا للإختلاف في الرأي والمعتقد؟

وبمقدار ما يحمل هذا المصطلح في إحشائه من معاني العنصرية والعدوانية والعصبية والكراهية والتحريض والجاهلية، فإنه يجب العمل في المقابل على إفشال جميع مقاصد هذا المشروع وأهدافه، وذلك من خلال الإلتفات إلى ما يلي:

1. إن هذا المصطلح هو مفردة في قاموس إصطلاحي، بل تراث فتنوي، وتاريخ عنصري، ومشروع جاهلي...تكوّن على مدى قرون بمساعي السلطة وازلامها وانخراط جملة من فقهاء السلطان في أعمالها.
2. التنبيه إلى أن هذا المصطلح، هو بمثابة إعادة بعث لكل ذلك التاريخ المظلم الذي عاشه المسلمون، وعانت منه مجتمعاتنا الإسلامية.
3. التأكيد على أنه مشروع فتنة بين المسلمين، يهدف لإشعال نار الحروب والتنازع والفرقة بينهم.
4. عدم الإنجرار إلى ردات فعل مماثلة، بمعنى عدم إطلاق تعابير ومصطلحات ذات بُعد مذهبي، عنصري، عدواني، إستفزازي، على أي من المسلمين وفئاتهم.
5. ضرورة امتلاك الوعي بفقه المصطلح، والعوامل التي أدت إلى مذهبته واتخاذه بُعداً عنصرياً وعدوانياً... حتى يرعوي من ينطق به جهلاً، ويستبين قاصد الفتنة عمداً.
6. إرجاعه إلى معناه الإصطلاحي الأولي، وخصوصاً سياقه التاريخي والديني، وما يختزنه من رفض لكل أنواع الظلم والفساد وسوى ذلك.
7. التعامل معه من خلال مجمل الأبعاد الدلالية التي أُقحمت فيه، ومنظومة الوظائف التي يُراد له أن يؤديها .
8. تعطيل قدرة المصطلح ووظيفته، من خلال تجميله وتطهيره من دنس السلطة وما حشته فيه ورتبته عليه، وإعادته إلى أصله الدلالي وتاريخه الديني الذي نشأ منه وبُني عليه.
9. امتلاك الحصانة الفكرية والنفسية والتربوية أمام استهدافات المصطلح ولغته، بل والمشروع الذي ينضوي فيه ويعبّر عنه.
10. تجريم استخدام المصطلح قانونياً تبعاً للنتائج التي يراد لها أن تترتب عليه، لأن مجمل من يستخدمه، إنما يفعل ذلك ليكون مستنداً له للدعوة إلى القتل والإجرام وسوى ذلك.

8. **الخاتمة:** سوف نعمل في هذه الخاتمة على إجمال أهم ما توصلنا إليه، وبيان أهم التوصيات التي ينبغي الإشارة إليها، مع الإلفات إلى جملة من النتائج، سواءً من ناحية ما ترتب ويترتب على توظيف هذا المصطلح في التاريخ والحاضر، أو من ناحية من عمد إلى تبنيه واستعماله، وذلك من خلال العناوين التالية:

أ) تلخيص:

يمكن تلخيص مجمل ما ورد في النقاط التالية:

1. إن مصدر هذا المصطلح (المفهوم) هو المشروع الأموي، ولذلك هو منتج أموي يحمل جيناته وبصماته.
2. لقد كان هدف ذلك المشروع الثأر من رسول الله وأهل بيته ورسالته.
3. سيطرة البيت الأموي على السلطة، شكلت فرصة لهم لتنفيذ مشروعهم.
4. تنفيذ ذلك المشروع كان له أبعاد ثقافية دينية، كما كان له أبعاد سياسية إجتماعية.
5. كان من الضروري لهم توظيف الدين ومفرداته لتحقيق ذلك المشروع، لعدم الفصل بين الديني السياسي في ذلك الوقت.
6. لتحقيق ذلك استخدموا جيشاً من فقهاء البلاط ووعاظ السلاطين، فوضعوا لهم روايات مكذوبة تخدم مشروعهم.
7. نتيجة ذلك المشروع تراث من الترفيض (الرافضة)، والتكفير، والتبديع، والإتهام بالشرك وغيره، عندما تم توظيف العامل الديني لخدمة أهداف السلطة وسياساتها.
8. من سياسات السلطة الأموية إعادة تعليب وإنتاج بعض المفاهيم والمصطلحات بما يخدم أهدافها، في إرهاب الخصم وضربه، ومنها مصطلح الرافضة.
9. لم تقطع السلطة العباسية مع سابقتها الأموية، وانما أكملت سياساتها في اضطهاد شيعة أهل البيت(ع)، وبطريقة أكثر قسوة، مستغلة قضية الرافضة، واللوازم التي تترتب عليها.
10. لقد جرى شيطنة هذا المصطلح (المفهوم)، وترتيب قائمة من الأحكام والنتائج العنصرية والعدوانية بحق من يطلق عليه.
11. إن من أهم الآثار التي رتبت على توظيف هذا المصطلح، ممارسة مختلف اشكال الإضطهاد والعنف الارهاب، فمن يتهم بالرفض يباح قتله وماله، ولا تقبل شهادته، وترد روايته، ويجكم باخراجه من الملة إلى الشرك والكفر، ولا يصلى خلفه ولا يصلى عليه...

12. إن هذا المصطلح هو جزء من مشروع أوسع، زرعت بذوره السلطة الأموية، وأحكمت أصوله العباسية، وللأسف ما زالت نتائجه تضرس إلى عصرنا الحالي، أما لجهل به أو عصبية أعمت عنه.
13. إن المسلمين الشيعة – اليوم كما الأمس – يدفعون عربون إنتمائهم إلى رسول الله (ص) وأهل بيته (ع) وولائهم لهم.
14. لن يكون من الصحيح الرد على هذه اللغة العنصرية والعدوانية بمثيل لها، وإنما محاصرة من يستخدمها من قبل جميع المسلمين والإعراض عنه، والإصرار في المقابل على التمسك بقيم الوحدة والحوار والأخوة بين جميع المسلمين وطوائفهم.

ب) إستنتاج وتوصية:

1. إن استخدام هذا المصطلح لدى الكثيرين نابع من الجهل بمن أنتجه والهدف منه، ولو عقل البعض منشأه ومقصده لما اهتدى إلى لسانه سبيلا.
2. يتطلب الأمر الكثير من التدقيق العلمي، والورع من اجترار بعض ما احتواه التراث الإسلامي، مما دسته فيه السلطة الأموية وغيرها.
3. نحتاج بقوة إلى تطهير التراث الإسلامي من كثير مما أحدثته السلطة فيه، ووضعته في مطاويه، خدمة لأهدافها، وسعياً إلى مقاصدها.
4. إن المعيار في ذلك هو العرض على كتاب الله تعالى، فما وافقه يؤخذ به، وما خالفه يضرب به عرض الجدار.
5. إن الإصرار على استخدام هذه اللغة العنصرية بحق شيعة أهل بيت رسول الله (ص)، هوبمثابة إحياء لذلك المشروع الأموي ومؤدياته، من الفتنة بين المسلمين، وزرع الفرقة بينهم، والتنازع بين طوائفهم.

ج) النتائج:

لقد أدى هذا المصطلح، والمنظومة التي يحملها من الآثار والأحكام والدلالات، إلى جملة من النتائج على أكثر من مستوى اجتماعي، وسياسي، وديني، وغيره؛ وسوف نعرض هنا- وبشكل مختصر – لأهم تلك النتائج:

1. اعطاء بعض من الشرعية الدينية لممارسة العنف المذهبي والديني.
2. الدفع نحو ممارسات أقرب ما تكون إلى الإجرام الديني والمذهبي.
3. إشاعة أجواء التحريض بين المذاهب وخصوصاً بين السنة والشيعة.
4. تعزيز العصبيات المذهبية والدينية في المجتمعات الإسلامية.
5. تعميق الحواجز النفسية والاجتماعية والدينية بين المجتمعات الاسلامية، مما أدى لانتاج حالات من الشيعة – فوبيا، أو السنة – فوبيا، وغيرها.
6. التشجيع على الكراهية وممارساتها في أكثر من مجال.
7. إثارة الأحقاد والدفائن التاريخية وغير التاريخية بين المسلمين.
8. التأسيس لممارسات عنصرية، بل ثقافة عنصرية مذهبية.
9. ضخ العقل الديني المذهبي بشحنات كبيرة من اللاعقلانية، زيادة على النقص الهائل بنيوياً من تلك العقلانية.
10. الإسهام في تصديع المجتمعات الإسلامية وجرها إلى التفرقة، والتنازع، والتدمير الذاتي، وجعلها أقرب إلى الفتن المذهبية وغيرها.
11. تشويه الاسلام والإضرار بسمعنه ومكانته وتقديمه على أنه دين التخلف والعنفوالرجعية.
12. انتاج بيئة مساعدة على تخلف المسلمين، وابتعادهم عن التقدم الحضاري، وتشريع ابوابهم على الاستعمار والاستغلال والتبعية.

لقد قلنا ما قلنا، لنصل إلى تلكم النتيجة، تلك هي الفتنة التي يُراد إحياؤها من جديد، وذاك الظلام الذي يُراد له أن يبعث من دارس القبور، إنها فتنة ظلامية، وعصبية جاهلية، وإن تلطت بالإسلام، ونطقت بلغة القرآن، لكنها أشد من القتل، وأفتك بالمسلمين من سيف الحجاج وبطشه، وأضل لهم من دعوة إبليس وجنده.
إنّا لم نكتب ما كتبنا، إلا ليكون ذلك بمثابة إلفات لجميع المسلمين وعلمائهم، إلى خطورة ما يحضر لهم، ويراد أن يصلوا إليه، ليتحمل كل مسؤوليته، بعيداً عن العصبية والمذهبية، في الجهر بالموقف الحق، وبيان الرأي الصدق، ولن يحصل هذا، إلا إن كان الناطق، ممن إذا ظهرت الفتن أظهر علمه، ولم تأخذه في الله لومة لائم.